

ذِمَّةُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ

« ٤ »



زياد بن أبيه للصغير والكبير

«لله دُرُّ هذا الغلام !! لو كان

قرشياً لساق الناس بعصاه !»

[ عمر بن الخطاب ]

## □ زياد بن أبيه في سطور □ (٠٠٠ - ٥٣ هـ = ٠٠٠ - ٦٧٣ م)

زياد بن أبيه : رابع الدهاة ... وهو أحد الأمراء الولاة والقادة الفاتحين من أهل الطائف !

واختلفوا في اسم أبيه فقيل : عبيد الثقفى .  
وقيل : أبو سفيان .

ولدت أمه «سمية» جارية الحارث بن كلدة الثقفى فى الطائف . وتبناه عبيد الثقفى «مولى الحارث بن كلدة» . قيل : إنه ولد فى السنة الأولى للهجرة ، وأسلم فى عهد أبى بكر .

فلما شب استكتبه «أبو موسى الأشعرى» أيام إمرته على البصرة كما أن عمر - رضى الله عنه - كان يعهد إليه بكثير من المهمات ، وما لبث أن استثار إعجاب الناس بفصاحته ، وحسن درايته ، حتى قيل : إن «عمر بن العاص» لما شاهده قال :

لِلَّهِ دُرُّ هَذَا الْغَلَامِ ، لو كان قرشياً لساق الناس بعصاه .

وقد كان أبو سفيان حاضراً فقال : إني أعرف أباه !

فقال عمرو : من ؟ قال : أنا هو !!

وظل أمر إلحاق نسبه بأبى سفيان فكرة تراود الأذهان حتى آل الأمر إلى معاوية فكان من أمرهما ما كان !!

وذلك أن «معاوية» كان يحاول أبداً ، أن يجمع الأمويين على مبايعة ابنه يزيد بولاية العهد ، وكان هؤلاء يلتمسون شتى الأعذار ليتنصلوا من هذه المبايعة ، فعمد معاوية - فى دهائه - إلى استلحاق زياد بنسبة ، بعد أن أقام على ذلك اثنين من الشهود ، وما عثم أن استدعى الأمويين ، وأعلن لهم أنه قرر أن يكتب ولاية العهد لزياد ، فصعق هؤلاء وقالوا : «ألف يزيد ولا زياد» !!

وهكذا تمت البيعة لابنه ، إلا أن الخليفة في الواقع لم يستلحق زياداً بنسبه لهذه الغاية ، وإنما أراد أن يُفيد من حنكته ، وحسن درايته للأمور !  
وقد عينه والياً على « البصرة » فضلاً عن خُراسان وسجستان .

وقد كانت « البصرة » عندما وفد إليها مسرفة بالفسوق والفساد ، كما أن الدعوات المناوئة للأمويين كانت مستفحلة بها ؛ فعمد إلى القسوة والرهبة ، فاستقام أمرها حتى قيل : « إن الشيء كان يسقط من يد الرجل أو المرأة ، فما تُمد إليه يد ، حتى يعود صاحبه ، فيجده في مكانه فيأخذه » .

وأُسندت إليه ولاية الكوفة أيضاً فجمع له المِصران : الكوفة والبصرة ! ولم تكن الكوفة والبصرة وحدهما هما التابعتين لزياد ، وإنما امتد حكمه إلى نصف الإمبراطورية الشرق برمته ، هذا النصف الذي تم فتحه من البصرة .  
على حين تركز اهتمام معاوية في الغرب .

وإذا قورن « زياد » رابع الدهاة بالمغيرة ثالثهم رجَحَ « المغيرة » ، فالمغيرة حقق الهدف الذي حققه « زياد » بضحايا أقل ، وذلك مقياس عظمة الرجال !  
على أن النظام الذي اتبعه زياد كان في رأى بعض المؤرخين أشبه بالأحكام العرفية في زماننا تلك التي تلجأ إليها بعض الدول في الظروف الخاصة ويُمدّ العمل بها إلى أجل غير مسمى ! ، ومن أجل هذا يصفونه بالدهاية الطاغية ! ، فقد وضع للعامة طريقين : الطاعة والسيوف . وعلى كل فسوف يظل زياد مرتبطاً بإخضاع العراقيين :

فقد كان والياً لعلبى على فارس ، ثم تولى معاوية على البصرة من سنة ٤٥ هـ ، ثم عليها وعلى الكوفة سنة ٥١ هـ بعد المغيرة بن شعبة .  
ولم يزل زياد في ولايته إلى أن توفي سنة ٥٣ هـ .



## □ كلمات زياد ونظراته الصائبة في الناس والحياة □

يقول البلاغيون : الرجل هو الكلمة ، وقد حفلت كتب التاريخ والأدب بكلمات زياد ، وسوف أسوقها إلى القارئ الكريم ليحكم له أو عليه .  
ويقيني أن الكثيرين سوف يستفيدون في مجال عملهم من سياسته في الحكم ، فيعيدون ترتيب أوراقهم ، وتعديل أساليبهم ، فليس منا إلا مَنْ هو راع ومُسْتُول عن رعيته .  
وسوف يرى الكثيرون أن الإدارة فنّ له أصول وقواعد بدونها ينهار البناء ، ويذهب مع الريح !

### ◀ الثواب والعقاب بين التأجيل والتعجيل :

يقول زياد : «إن تأخير جزاء المحسن لُوم ، وتعجيل عقوبة المسيء ذنابة» .  
«والثبّت في العقوبة ربّما أدى إلى سلامة منها» .  
«وتأخير الإحسان ربما أدى إلى ندم يُمكن صاحبه أن يتلافاه<sup>(١)</sup> !» .

### ◀ قيمة الكلمة :

وكان زياد يزن الكلمة بميزان دقيق ، ومن أجل هذا راح يُحذّر من إطلاق العنان للسان فيقول على المنبر : «إن الرجل لَيَتَكَلَّم بالكلمة ، لا يقطع بها ذنّب عنز مَصُور<sup>(٢)</sup> لو بلغت إمامه سفكت دمه» .

### ◀ رسائِلنا وكتبنا مرآة عقولنا :

وكان زياد لمُباحاً ذكياً يقرأ ما بين السطور ، ويتعرف على الشخصية من خلال الكلمات فهو يقول : «ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفتُ عقله فيه» .

### ◀ معرفة أقدار الناس :

وكان زياد يعرف للناس أقدارهم ، ولا يسمح أن يستخف أحد بمن هو أهل

(١) نثر الدر للآلئ المرقى سنة ٤٢١ هـ . وقد أفرد فصلاً لكلامه .

(٢) مصور : بطيئة خروج اللبن .

التقدير والاحترام ، فيقول : « استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ! » .

« فوالله لا يأتيني شريف بوضع يستخف به إلا انتقمته منه . ولا يأتيني شيخ بشاب استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكّلت به ! » .

فهل يجد هؤلاء الثلاثة في عصرنا من يرعاهم ويفار على حرمتهم ، ويتتصف لهم ؟!

### ◀ الحظ عند زياد !

قيل لزياد : ما الحظ ؟

قال : من طال عمره ، ورأى في عدوه ما يسره ، فهو ذو حظ .

### ◀ سياسة العامة عند كل من معاوية والمغيرة وزياد :

وكان يقول :

« هما طريقان للعامة : الطاعة ، والسيف » .

أما معاوية : فكان لا يضع سيفه حيث يكفيه لسانه .

وكان «المغيرة بن شعبة» لا يلجأ إلى السيف إلا بعد استفاد كل الوسائل الممكنة لحمل الرعية على الطاعة فيقول :

« لا والله حتى يُحْمَلُوا على سبعين طريقاً قبل السيف » .

### ◀ مدى شدّته !

قال بعضهم : ما رأيت زياداً كاسراً إحدى عينيه ، واضعاً إحدى رجله على الأخرى ، يخاطب رجلاً - إلا رحمتُ المخاطب<sup>(١)</sup> !

### ◀ الإمارة في رأيه :

وكان زياد يرى الإمارة أجمل شيء لولا ما كان يتهدد الأمير من : وصول البريد بين لحظة وأخرى بعزله ! .

(١) وقيل أيضاً في معاوية كما سبق .

ولولا ارتقاء المناير ، ومواجهة الجموع ، وما يستدعيه ذلك من قدرة بيانية مؤثرة فيقول :

« نعم الشيء الإمارة ، لولا قعقعة البريد ، وتشرف المنبر !! » .

### ◀ أهمية البصرة في نظره !

وتذكروا عند زياد : البصرة والكوفة ، فقال زياد : لو ضلت البصرة جَعَلْتُ الكوفة لمن دلتني عليها !

### ◀ الزمان ... والسلطان !

سمع زياد رجلاً يسب الزمان : فقال : لو كان يدري ما الزمان لقطعت عنقه ! إن الزمان هو السلطان !

### ◀ الأربعة الذين لا يُحِبُّون (أصحاب القضايا العاجلة) :

قال زياد لحاجبه :

يا عجلان . إني وليتك هذا الباب ، وعزلتك عن أربعة :

عزلتك عن : هذا المنادى إذا دعا للصلاة ، فلا سبيل لك عليه .

وعن : طارق الليل ، فَشَرُّ ما جاء به ، ولو جاء بخير ما كنت من حاجبه .

وعن : رسول صاحب الثغر ؛ فإن إبطاء ساعة يفسد تدير سنة ! ، فأدخله عَلَيَّ وإن كنت في لحافى .

وعن : هذا الطباخ إذا فرغ من طعامه ، فإنه إذا أعيد عليه التسخين فسد .

### ◀ ماذا يعجبه من الرجل ؟

وكان يقول : يعجبني من الرجل إذا سيمَّ حُطَّة<sup>(١)</sup> الضَّيْم أن يقول : « لا » بيلء فيه .

وإذا أتى نادى قوم علم أنه ينبغي لمثله أن يجلس فجلس . وإذا ركب دابةً حملها على ما يحب ، ولم يتبعها إلى ما يكره .

---

(١) أرغم على قبول اللد .

### ◀ نظرتَه إلى البخيل والجواد :

كان يقول : كفى بالبخل عاراً أن اسمه لم يقع في حميد قط . وكفى بالجواد مجداً أن اسمه لم يقع في ذم قط .

### ◀ أساس الحكم عند زياد :

وقال زياد : ملاك السلطان : الشدة على المريب ، واللين للمحسن ، والوفاء بالعهد ، وصدق الحديث .

### ◀ موقفه مما له ، وما ليس له :

ويقول زياد : ما أتيت قط مجلساً إلا تركت ما لو أخذته لكان لي . وترك ما لي أحب إليّ من أخذ ما ليس لي .

### ◀ موقفه من الجاهل :

وقال زياد : لا يُفْرَنك من الجاهل كثرة الالتفات ، وسرعة الجواب .

### ◀ من توجيهاته :

سمع رجلاً يدعو عليه وهو يقول : اللهم اعزل عَنَّا زياداً !!

فقال له : قل : وأبدلنا به خيراً منه !

### ◀ من وصيته لابنه :

قال لابنه عبيد الله عند موته : لا تدنس عرضك . ولا تبذل وجهك . ولا تُخْلِقَنَّ جدتك<sup>(١)</sup> بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك ، وإن قضى حاجتك جعلها عليك مناً .

فاحتمل الفقر بالتزُّه عما في يد غيرك ، والزم القناعة بما قسم لك ، فإن سوء حمل الفقر يضع الشريف ، ويخمل الذكر ، ويوجب الحرمان !

---

(١) اخلق جلتَه : أهلكها ، وأراق ماء وجهه .

## ◀ من شابه أباه فما ظلم :

دخل سلم بن زياد<sup>(١)</sup> على الحجاج في أموال قبضها عنه ، فقال له : من أنت ؟  
قال : سلم . قال : ابن من ؟ قال : ابن زياد . قال : ابن من ؟  
قال : ابن من شاء الأمير ! فرد عليه أرضه !  
زياد وشعبة بن المَخَش :

كان شعبة بن المَخَش<sup>(٢)</sup> مع زياد ، وكان أكولاً دميماً ، فقال له زياد : يا شعبة مالك من الولد ؟ قال : تسع بنات . قال : أين جَمَالُهن من جَمالك ؟ قال : أنا أجمل منهن ، وهُنَّ آكل مني ! قال : ما أحسن ما سألت لهن ! وألحق بناته في العيال .

## □ زياد القاضي □

قدم شُرَيْح القاضي مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة ، فكان زياد يجلس في جنبه ويقول له : إن حكمتُ بشيء ترى غيره أقرب إلى الحق منه فأعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه .

فيقول زياد لشريح : ما ترى في هذا الحكم ؟!

حتى أتاه رجل من الأنصار فقال : إني قدمت البصرة والخطط موجودة ، فأردت أن أخط لي ، فقال لي بنو عُمى ، وقد اختطوا ونزلوا : أين تخرج عنا ؟! أقيم معنا ، واختط عندنا ، فوسعوا لي ، فاتخذت فيهم داراً وتزوجت ، ثم نزع الشيطان بيننا ، فقالوا لي : اخرج عنا !

فقال زياد : ليس لكم ذلك ؛ منعتموه أن يخط ، والخطط موجودة ، وفي أيديكم فضل ، فأعطيتهموه حتى إذا ضاقت الخطط أخرجتموه ، وأردتم الإضرار به !! لا يخرج من منزله .

(١) سلم بن زياد بن أبي سفيان أحد أمراء الأمويين وولاهم ولاية يزيد خراسان سنة ٦١ هجرية .

[المعارف : ١٥٢] .

(٢) في عيون الأخبار [ ١٢٨/٣ ] .

فقال شريح : يامستعير القدر ارددْها .

قال زياد : يامستعير القدر احبسْها ولا ترددها .

قال محمد بن سيرين : القضاء بما قال به شريح . وقول زياد حسن !

### ◀ فضل عقله :

ولما عزل عمر بن الخطاب زياداً عن كتابة أنى موسى ؛ قال له : أَعْن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكن كرهت أن أحمل العامة على فضل عقلك !

### ◀ نظرته إلى مصادر التمويل :

وينظر زياد إلى دافعى «الخَرَاج» نظرة واعية فيقول : «أحسنوا إلى أهل الخراج ، فإنكم لاتزالون سماناً ما سمنوا» .  
فهل آن الأوان لتفكر بهذه العقلية فى الإحسان إلى دافعى الضرائب ، وتنبيل ما يعترض طريقهم من عقبات ، فلا أخذ بغير عطاء !!

### ◀ والحقوق قضاء !

اختصم إلى زياد رجلان فى حق كان لأحدهما على الآخر ، فقال المدعى : أيها الأمير ، إنه ليسطو علىّ بخاصة ذكر أنها له منك !  
فقال زياد : صدق ، وسأخبرك بمنفعتها له : إن يكن الحق له عليك أخذتك به ! وإن يكن لك عليه ، حكمت عليه ، ثم قضيت عنه !

### ◀ شعار الحكم فى مجلس زياد :

يقول الآبى فى نثر الدر :

وكان فى مجلسه الذى يأذن فيه للناس أربعة أسطر فى نواحيه :

أولها : الشدة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف .

والثانى : المحسنُ يجازى بإحسانه ، والمسيء يكافأ بإساءته .

**والثالث :** العَطِيَّات والأَرْزَاق في إِبَّانها ووقتها .  
**والرابع :** لا احتجاب عن صاحب ثغر ، ولا طارق ليل .

### ◀ من العاقل في نظره ؟

ويقول زياد : « ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع ، ولكن العاقل الذي يحتال للأمر ألا يقع »<sup>(١)</sup> .  
ألا ليت الذين ينتظرون حتى تقع الأحداث ثم يبدأ تحركهم يُعيدون من جديد ترتيب أوراقهم فيخططون للمدى القريب والبعيد !

### ◀ خبرته بالأمور :

كتب إليه معاوية : اعزل حُرَيْثَ بن جابر ، فإنى ما أذكر قُبَّتَه بصيِّين<sup>(٢)</sup> ! إلا كانت حرارة في جلدى !  
ثرى ماذا كان موقف زياد ؟  
لقد كتب إلى معاوية يقول : خَفِّضْ عليك أمير المؤمنين ، فقد بسَقَ حُرَيْثُ بُسُوقاً<sup>(٣)</sup> لا يرفعه عمل ، ولا يضعه عزل !

### ◀ المال عند زياد وحرصه على رعايته !

ويقول زياد : لو أن لى ألف ألف درهم ، وَلِىَ بغير أجرب لقمتم عليه قيام رجل لا يملك غيره .  
ولو أن لى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعها فيه .

### ◀ سياسة فتح الباب !!

ولزياد رأيه في اتخاذ الحجاب ، ومن أجل هذا يوصى ابنه بقوله : عليك

---

(١) فى العقد الفريد ٢٤١/٤ ، ولكن العاقل يحال للأمر حتى لا يقع .

(٢) صيِّين : موضع على شاطئ الفرات دارت بها واقعة سنة ٣٧ هـ بين على ومعاوية .

(٣) بسق بسوقاً : طال ، والمراد : علا شأنه .

بالحجاب ، فإنما تجرأت الرعاة على السباع بكثرة نظرها إليها !

### ◀ فقرة من خطبه :

خطب فقال :

« الأمور جارية بأقدار الله ، والناس متصرفون بمشيئة الله ، وهم بين متسخط وراضٍ ، وكلٌّ يجرى إلى أجل وكتاب ، ويصير إلى ثواب أو عقاب .  
ألا ربّ مسرورٍ لا نُسره ، وخائفٌ ضدنا لا نُضره .

### ◀ زياد السياسي :

كان زياد سياسياً حازماً يعرف مواضع الشدة ، ومواضع اللين وليس لكل حال لُبوسها ، ويداوى كل داء بدوائه ، وقد أخذ ذلك عن الخليفة الثاني ، وكان يتأثره ، ويجب سماع الحديث عنه ، ويعمل بسنته ، ويقضى بقضائه .

لقد جعل رائده أداء الواجب والإخلاص للمصلحة العامة ، ويدل على ذلك موقفه من « معاوية » عندما أراد أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ، فقد رأى من واجبه ألا يعين معاوية على ما يريد ، فكتب إليه كتاباً ينصح له فيه بالترث وعدم العجلة .

وحسب زياد فخراً أن معاوية لم يخط الخطوة الأخيرة إلا بعد موت زياد .

لقد عاش زياد في أيام فتنة واضطراب ونقلة من عصر النبوة والخلافة إلى عصر

الملك والسياسة !

أخذ بالحزم .. وأداء للواجب ، ونصح لولى الأمر .. ولا نستطيع أن نتابع الروايات التي تصوره سفاكاً سفاحاً وهو الذى نال بإجماع الأخبار رضا الأئمة المهديين عمر وعثمان وعلى وثقة عمالهم : سعد ، وأبى موسى ، وابن عامر ، وابن عباس ، وإعجاب الفرس وولاءهم !

### ◀ زياد الإدارى البارِع !

وكان زياد إدارياً بارِعاً كما كان سياسياً حازماً لا يكاد يلحق به من رجال

الصدر الأول إلا قليل .

وكيف لا وقد عاش الفرس ودهاقينهم ، وسمع أخبار الأكاسرة الأولين .  
عنى بعمارة فارس والعراق : فأما فارس فقد بلغه أن الساسانيين كانوا يضعون  
عن الناس كل عشر سنوات خراج سنة فاقتدى بهم فى ذلك ، فعمرت فارس  
عمارة عظيمة .

وأما العراق فعرف من أول الأمر أهمية الرى له فحفر عدة أنهار : منها نهر  
معقل ، ونهر الأبلّة ، ونهر ديبس . وأكثر من الإقطاع وإحياء الموات .  
**قال المدائنى :** وكان يُقطع الرجل القطيعة ويدعه سنتين ؛ فإن عمرّها وإلا  
أخذها منه .

وقد عمر العراق على عهده عمارة عظيمة ، روى البلاذرى : أن جباية كُور  
البصرة على عهد زياد بلغت ستين ألف ألف درهم ، كان يرسل منها إلى معاوية  
أربعة آلاف فقط ، وينفق الباقي فى أعطيات الجند ، وعامة ضروب الإصلاح .  
وبلغت كباية كور الكوفة على عهده أربعين ألف ألف درهم كان يرسل منها  
إلى معاوية ثلثى ما يرسل إليه من جباية البصرة وينفق ما تبقى فى مختلف شئون  
الكوفة .

وعنى العناية كلها بالشرطة والجند ، فاتخذ حرساً مؤلفاً من خمسمائة رجل لا  
يرحون المسجد ، وجعل الشرطة ٤٠٠٠ رجل ، وبلغت مقاتلة البصرة فى عهده  
ثمانين ألفاً ، ومقاتلة الكوفة ستين ألفاً .

وكان لزياد شغف بالبناء مع ذوق فيه وحب للنظافة العامة روى الحافظ ابن  
عساكر فى تاريخه : أن زياداً لم يكن من القراء ولا الفقهاء ، ولكن كان يعد فى  
الزهاد .

**وقال الأصمعى :** « مكث زياد على العراق تسع سنين لم يضع لبنة ، ولم  
يغرس شجرة » .

يريد : أنه لم يختص نفسه ببناء ، ولا زرع تعففاً وزهداً .

### ◀ توقيعاته :

وإذا كانت التوقيعات تدل على حكمة وبعد نظر وحسن تفهم للأمور ، فإننا

نرى زياداً يوقع في قصة متظلم : « كُفيت ! » .  
ووقع في قصة رجل شكاً إليه عقوق ابنه : « ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد ! » .

### ◀ بين زياد وأخيه أبي بكرة :

استأذن زياد معاوية في الحج فأذن له ، وبلغ ذلك أبا بكرة<sup>(١)</sup> ، وكان أخاه من أُمِّهِ اسمها « سُمَيَّة » ، وكان قد حلف ألا يكلم زياداً حيث رجع عن الشهادة على المغيرة بن شعبة<sup>(٢)</sup> ، وألا يُظله وإياه سقف بيت أبداً .

فدخل أبو بكرة دار الإمارة على زياد ، فأمر زياد بكُرْسِيَّين ، فوضعا في صحن القصر ليمنه ، فجلس أبو بكرة على أحدهما ، وزياد على الآخر ، ومع زياد بُنَى له حيث مشى .

فقال أبو بكرة لابنه : تعال يابن أخي ، فجاء الصبي فجلس في حجره فقال له : كيف أنت ؟ كيف أهلك ؟

اسمع مني يابن أخي – وإنما يريد أن يُسمع زياداً – إن أباك هذا أحق ، قد فَجَّرَ في الإسلام ثلاث فجرات ما سمعنا بمثلهن :

أما أولاهن – فبحجوده الشهادة على المغيرة ، والله يعلم أنه قد رأى ما رأينا فكتم ، وقد قال الله : ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ [ البقرة : ٢٨٣ ] .  
فحلفت ألا أكلمه أبداً .

وأما الأخرى – فانتفاؤه من عبيد<sup>(٣)</sup> ، وادعاؤه إلى أبي سفيان ، وأقسم لك بالله – يابن أخي – صادقاً ، ما رأى أبو سفيان « سُمَيَّة » قط في ليل ولا نهار ، ولا في جاهلية ولا إسلام .

(١) هو أبو بكرة ، نفع بن الحارث الضفي ، أسلم وكان من فضلاء الصحابة ، وكان كثير العبادة ، سكن البصرة ، ومات بها سنة ٥١ هـ أسد الغابة ٣٨/٦ .

(٢) في الأغاني ١٤٠/١٤ أن أبا بكرة رأى المغيرة بن شعبة ، مع امرأة اسمها رقطاء في وضع مريب هو وثلاثة من إخوته وصحابه ، وقد شهد هو والثمان منهما عليه بالزنا ، أما زياد فشهد بأنه رأى المغيرة يطوها ولا علم له بما وراء ذلك ، فحلف عمر أبا بكرة والشاهدين الآخرين حد القذف .

(٣) المورعون يسمونه (ابن سُمَيَّة أو ابن أبيه) . وكان للحارث بن كلدة الضفي طبيب العرب ، أمة تسمى سمية قد قرنها بعد له رومي يدعى عبيداً فولدت له زياداً هذا في السنة الأولى من الهجرة

**وأما الثالثة - فأعظمهن .** إنه يريد أن يوافي العام الموسم ، وأم حبيبة<sup>(١)</sup> بنت  
أبى سفيان زوج النبي - ﷺ - تأتي الموسم كل عام ، فإن هو أتاها ، فأذنت له  
كما تأذن الأخت لأخيها ، فأعظم بها مصيبة .. وإن هي حجته وتسترت منه  
فأعظم بها حجة عليه ، ثم نهض !

فقام زياد في إثره ، وأخذ بقميصه وقال : جزاك الله من أخ خيراً ، فما تركت  
النصيحة لأخيك على حال . وترك الحج .

### ◀ زياد وبیت المال :

دخل زياد على عثمان - رضى الله عنه - في خلافته بما بقى عنده لبيت المال ،  
فجاء ابن لعثمان فأخذ شيئاً من فضة ومضى به ، فبكى زياد .. قال عثمان : ما  
ييكيك ؟

قال : أتيت أمير المؤمنين عمر بمثل ما أتيتك به ، فجاء ابن له ، فأخذ درهماً ،  
فأمر به أن ينتزع منه حتى أبكى الغلام ! وإن ابنك هذا جاء فأخذ ما أخذ ؛ فلم  
أر أحداً قال له شيئاً ..

قال عثمان : إن عمر كان يمنع أهله وقرابته ابتغاء وجه الله . وإني أعطى أهلي  
وأقربائي ابتغاء وجه الله ؛ ولن تلقى مثل عمر . لن تلقى مثل عمر !!<sup>(٢)</sup> .

### ◀ كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين !

ويروى الجاحظ في بيانه : عن الحسن أن زياداً بعث «الحكم بن عمرو» على  
خراسان فأصاب مغنماً ، فكتب إليه زياد :

إن أمير المؤمنين «معاوية» كتب إليّ يأمرني أن أصطفي له كل صفراء

---

(١) أم حبيبة بنت أبى سفيان : اسمها رملة ، أسلمت وهاجرت إلى الحبشة ، وتزوجها رسول  
الله - ﷺ - وهي بالحبشة ، وقد وكل عنه . توفيت سنة ٤٤ هـ . أسد الغابة ٣١٥/٧ .

(٢) عبقرية عمر للعقاد .

ترى كيف كان زيادا فى الفتنة التى ظهرت على الساحة العربية ؟!

**يقول التاريخ :** إنه لما اضطربت أمور الدولة الإسلامية بالفتنة التى انتهت بمقتل «عثمان» - رضى الله عنه - ، واستخلاف «على بن أبى طالب» - كرم الله وجهه - ، وخروج أهل البصرة عليه مع عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - وطلحة والزبير ، لم يحرك «زياد» فى تلك الفتنة ساكناً ، ولم يَحْضُ فيها مع الخائضين ، ولا ألقى فى نارها خطباً ، بل اعتزل الفريقين كما فعل كثير غيره ، وأقام مستخفياً فى بعض دور البصرة ينتظر ماتجلى عنه الأمور !

### ◀ موقف علىّ منه :

ولم يكن أمر «زياد» خافياً علىّ علىّ - رضى الله عنه - فإنه بعد أن ظفر بخصومه فى وقعة «الجمل» سنة ٣٦ هـ وجاءه «عبد الرحمن بن أبى بكر» ، وهو ابن أخى زياد لأمه مستأثراً<sup>(١)</sup> مبيعاً ، قال له علىّ : وأين عمك المتربص المتقاعد بى ؟!

فقال : والله ياأمير المؤمنين ، إنه لك لَوَادٌ ، وإنه علىّ مَسَرَّتْكَ لحريص ، ولكن بلغنى أنه يشتكى ، أفأعلم لك علمه ثم آتيك ؟

وكنتم علياً<sup>(٢)</sup> مكانه حتى استأمر زياداً<sup>(٣)</sup> ، فأمره أن يُعلمه بمكانه فأعلمه .

فقال علىّ : امش أمامى فاهدنى إليه ! ففعل ، فلما دخل عليه قال : تقاعدت عَنّى ، وتربّصت ! ووضع يده على صدره وقال : هذا وجّع بين !!

فاعتذر إليه زياد ، فقبل عذره ، ثم استشاره علىّ ، وأراده على إمرة البصرة<sup>(٤)</sup> ، فامتنع «زياد» من قبولها وقال : بل رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس .. وسأكفيه وأشير عليه .

وافترقا علىّ «عبد الله بن عباس» .

(١) طالباً الدخول فى أمن علىّ .

(٢) أخفى عن علىّ مكان إجماله .

(٣) أخذ رأيه وأمره .

(٤) أن يكون والياً وأميراً عليها من قبل علىّ .

## ❑ خطبة زياد بن أبي سفيان بالبصرة ❑ وهي الخطبة البتراء

قال أبو الحسن المدائني بسنده :

قدم زيادُ البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ ، وضم إليه خراسان ، وسجستان ، والفِسق بالبصرة كثير فاشي وأموال الناس منتبهة ، فصعد المنبر ، فخطب خطبة «بتراء» لم يحمد الله فيها<sup>(١)</sup> : وقال :

مقدمة يحدد فيها زياد معاصيهم :

«أما بعدُ .. فإن الجهالة الجُهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى<sup>(٢)</sup> الموفى<sup>(٣)</sup> بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب<sup>(٤)</sup> الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته<sup>(٥)</sup> ، في الزمن السرمدي<sup>(٦)</sup> الذي لا يزول » .

توبيخ !

أتكونون كمن طرَفْت<sup>(٧)</sup> عينيه الدنيا ، وسَدَّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسبقُوا إليه ، مِنْ تَرْكِكُمْ الضعيف يُقهر ، ويؤخذ ماله ، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، والعدو غير قليل .

ألم يكن منكم نُهاة<sup>(٨)</sup> تمنع الثَّوَاة<sup>(٩)</sup> عن دَلَج الليل<sup>(١٠)</sup> وغارَة النهار !؟ قَرَّبَم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر وتُعْضُونَ على المختلس .

كل امرئ منكم يَذُبُّ<sup>(١١)</sup> عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً<sup>(١٢)</sup> .

- |                                                                               |                                |                        |
|-------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------|------------------------|
| (١) البيان والتبيين للجاحظ .                                                  | (٣) الموفى : المشرف .          | (٥) المعصية : الزلة .  |
| (٢) العمى : الضلال .                                                          | (٤) الجزاء على أعمال الخير     | (٦) الأزل الأبدي .     |
| (٧) طرَفْت عينه الدنيا : طمعت عينه إلى الدنيا وزخرفها ، فثقلت بها عن الآخرة . |                                |                        |
| (٨) النُّهاة : الزاجرون المانعون .                                            | (١٠) دَلَج الليل : السير فيه . | (١٢) المعاد : الآخرة . |
| (٩) الثَّوَاة : الظالمين .                                                    | (١١) يَذُبُّ : يدافع .         |                        |

ترى كيف كان زيادا فى الفتنة التى ظهرت على الساحة العربية ؟!

**يقول التاريخ :** إنه لما اضطربت أمور الدولة الإسلامية بالفتنة التى انتهت بمقتل «عثمان» - رضى الله عنه - ، واستخلاف «على بن أبى طالب» - كرم الله وجهه - ، وخروج أهل البصرة عليه مع عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - وطلحة والزبير ، لم يحرك «زياد» فى تلك الفتنة ساكناً ، ولم يحض فيها مع الحائضين ، ولا ألقى فى نارها خطباً ، بل اعتزل الفريقين كما فعل كثير غيره ، وأقام مستخفياً فى بعض دور البصرة ينتظر ما تنجلي عنه الأمور !

### ◀ موقف علىّ منه :

ولم يكن أمر «زياد» خافياً علىّ علىّ - رضى الله عنه - فإنه بعد أن ظفر بخصومه فى وقعة «الجمل» سنة ٣٦ هـ وجاءه «عبد الرحمن بن أبى بكر» ، وهو ابن أخى زياد لأمه مستأماً<sup>(١)</sup> مبيعاً ، قال له علىّ : وأين عمك المتربص المتقاعد بى ؟!

فقال : والله يأمر المؤمنين ، إنه لك لَوَادٌ ، وإنه علىّ مَسَرَّتَكَ لحريص ، ولكن بلغنى أنه يشتكى ، فأعلم لك علمه ثم آتيك ؟

وكم علياً<sup>(٢)</sup> مكانه حتى استأمر زياداً<sup>(٣)</sup> ، فأمره أن يعلمه بمكانه فأعلمه .

فقال علىّ : امش أمامى فاهدنى إليه ! ففعل ، فلما دخل عليه قال : تقاعدت عنيّ ، وتربّصت ! ووضع يده على صدره وقال : هذا وجّع بين !!

فاعتذر إليه زياد ، فقبل عذره ، ثم استشاره علىّ ، وأرادَه على إمرة البصرة<sup>(٤)</sup> ، فامتنع «زياد» من قبولها وقال : بل رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس .. وسأُكفيه وأشير عليه .

وافترقا علىّ «عبد الله بن عباس» .

(١) طالبا الدخول فى أمن علىّ .

(٢) أخفى عن علىّ مكان إخبائه .

(٣) أخذ رأيه وأمره .

(٤) أن يكون والياً وأميراً عليها من قبل علىّ .

إلا أن علياً ولّى زياداً خراج البصرة ، وبيت مالها ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه .

### ◀ ولاؤه لعلّي حتى قتله !

من ذلك الوقت أصبح زياد من أشدّ عمّال عليّ إخلاصاً له ، وقد لبث على ولائه وإخلاصه له إلى أن انتهت حياة علي نفسه .

### ◀ مقدرة زياد ودهاؤه وسعة حيلته !

لما قُتِل محمد بن أبي بكر بمصر سنة ٤٩ هـ واضطراب الأمر عليّ خرج إليه بالكوفة «عبد الله بن عباس» بعد أن استخلف «زياداً» على البصرة .

ودهم زياداً غداة رحيل «ابن عباس» أمرٌ عظيم ؛ فإن «معاوية» أنفذ إلى «البصرة» «عبد الله بن الحضرمي» ناعياً مقتل «عثمان» ، ومحركاً لأهل البصرة عليّ عليّ .

ونظر «زياد» ، فوجد نفسه في قِلّة ، وأن أمر «البصرة» يوشك أن يذهب من يده ، فأعمل الرأي والحيلة !

ولما كان «ابن الحضرمي» قد نزل في «بنى تميم» ، فإن زياداً أسرع فنزل ومعه الأموال في قبيلة «الأزد» المعادية - هي وحليفتها : «بكر بن وائل» - تميم .

وكان لنزوله في «الأزد» معني التحرم بالجوار المقدس عند العرب ، فقد تكفلت «الأزد» بالذود عنه كائناً ما كان الأمر !

وهنا كتب زياد إلى عليّ يخبره بالحال ويستمدّه<sup>(١)</sup> ، فصوب عليّ رأيه ، وأنفذ إليه مدداً مع «جارية بن قدامة السعدي التميمي» .

وقد استطاع «جارية» أن يرد قومه عن اتّباع «ابن الحضرمي» ، ثم سار إلى «ابن الحضرمي» فقضى عليه وعلى أصحابه !

ورجع «زياد» إلى دار الإمارة موفور النفس والمال !

---

(١) يطلب منه مدداً ليواجه الموقف .

وجاء في رسالة من معاوية إلى زياد قوله :  
«أقسيم ألا أوئى بك إلا فى زَمارة<sup>(١)</sup> ، تمشى حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك فى السوق ، وأبيعك عبداً !» .

وفى رسالة من زياد إلى معاوية قوله :  
«لولا حلم ينهانى عنك ، وخوفى أن أذعى سفهاً ، لأثرت لك مخازى لا يغسلها الماء .. فإن كنت ابن سُمَيَّة ، فأنت ابن حمامة<sup>(٢)</sup>» .

وراح زياد يقدر ويفكر ... ولكن !! وآه مما بعد لكن !! ولكن زياداً رأى بثاقب ذهنه ، وببعد نظره أن الصراع العنيف الناشب بين «على» و «معاوية» لابد له من نهاية ، يتغلب فيها أحدهما على الآخر ، وأن كِفَّة «معاوية» ترجح كِفَّة «على» ، ورأى فى الوقت نفسه أنه قد سار أمدأ بعيداً فى إحفاظ «معاوية» بأخذه جانب «على» ، هذا إلى مضاضة كان يحسها فى نفسه تجعله لا يسارع إلى «معاوية» إذا تم له الأمر ، فأولى له أن يحتاط لنفسه إذا ما وقع المحذور ، فيتحصن فى مكانه الحريز ، وبين أظهر الفرس الذين غدوا معجبين به أياً إعجاب ، ثم يفاوض «معاوية» وهو فى حصنه ، ويساومه مساومة التدد للتدد ، ولا ينزل إليه إلا على شروط يملها هو عليه .

وقد صدقت فراسة «زياد» ، ولكن على نحو ما كان يخطر له ببال !  
ففى سنة ٤٠ هـ قتل أمير المؤمنين «على بن أبى طالب» ، وأصبح «زياد» و «معاوية» فى حقيقة الأمر وجهاً لوجه .  
وهنا نجد رجلين متعادين عداً غريباً ، كلاهما لم يتعمد جناية على الآخر ، ومع ذلك فمسافة الخُلف بينهما شديدة البعد !

لقد انتقل زياد إلى القلعة وتحصن بها ومعه الأموال سنة ٤١ هـ .  
انتظاراً للفرصة المواتية ، واللحظة الحاسمة !

◀ تأتى الرياح بما لا يشتهي السفين !

ولكن فراسة زياد لم تصدق هذه المرة ، فسرعان ما نزل الحسن عن حقه فى

(١) زَمارة : جماعة تُزْمَر .

(٢) أدب السياسة فى العصر الأموى للدكتور الحوفى .

قال أبو سفيان : أما والله إني لأعرف أباه ، والذي وضعه في رحم أمه .  
**فقال له علي :** - رضي الله عنه - مَهْ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ  
بِالْمَسَاءَةِ إِلَيْكَ سَرِيعٌ !

فلما كان زمن «علي» - رضي الله عنه - وَوُلِّيَ زِيَادَ فَارَسَ ، وَضَبَطَهَا  
وَعَرَفَ ذَلِكَ «مَعَاوِيَةَ» ، كَتَبَ إِلَيْهِ :

أما بعد ، فَإِنَّهُ غَرَّتْكَ قِلَاعٌ تَأْوِي إِلَيْهَا بِاللَّيْلِ كَمَا تَأْوِي الطَّيْرُ إِلَى وَكُورِهَا ، وَأَيُّمُ  
اللَّهِ ، إِنَّهُ لَوْلَا انتِظَارِي بِكَ مَا اللَّهُ أَعْلَمَ بِهِ ، لَقُلْتُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ (سُلَيْمَانُ -  
عَلَيْهِ السَّلَامُ -) : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ  
صَاغِرُونَ ﴾ [ الأمل : ٣٧ ] .

وكتب في أسفل كتابه شعراً يقول فيه :

**تَسَى أَبَاكَ وَقَدْ خَفَّتْ نَعَامَتُهُ**

**إِذْ تَخْطُبُ النَّاسَ وَالْوَالِي لَنَا عُمَرُ !!**

فقام زياد فخطب ، ثم قال :

« والعجب كل العجب أن ابن آكلة الأكباد<sup>(١)</sup> ، ورأس النفاق ، يهددني ،  
ويبنى وبينه ابن عم رسول الله - ﷺ - وزوج سيدة نساء العالمين ، وأبو  
السُّبُطَيْنِ : (الحسن والحسين) ، وصاحب الولاء والمنزلة والإخاء !!  
أما والله لو يأذن لي فيه لوجدني أحمر محشاً<sup>(٢)</sup> ضروباً بالسيف » .

وكتب إلى علي - رضي الله عنه - بما كتب إليه معاوية ، فكتب إليه علي -  
رضي الله عنه - :

« أما بعد ، فَإِنِّي وَلِيِّتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ ، وَأَنَا أُرَاكَ لَذَلِكَ أَهْلًا ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ مِنْ  
أَبَى سُفْيَانَ فُلْتَةٌ لَزِمَانَ غَيْرٍ مِنْ أَمَانِي التَّيْهِ<sup>(٣)</sup> ، وَكَذَبَ الْيَقِينُ ، لَمْ تَسْتَوْجِبْ بِهَا  
مِيرَاثًا ، وَلَمْ تَسْتَحِقْ بِهَا نَسَبًا ، وَإِنْ مَعَاوِيَةُ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ،  
وَعَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ، كَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَاحْذَرِهِ ، ثُمَّ احْذَرِهِ ، وَالسَّلَامُ ! »

(١) آكلة الأكباد : هند أم معاوية .

(٢) محشاً : أى موقداً للحرب .

(٣) التيه : الحيرة ، أو التكبر .

وجاء في رسالة من معاوية إلى زياد قوله :  
«أقسِم ألا أُوتى بك إلا في زَمارة<sup>(١)</sup> ، تمشى حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك في السوق ، وأبيعك عبداً !» .

وفي رسالة من زياد إلى معاوية قوله :  
«لولا حلم ينهاني عنك ، وخوفى أن أُدعى سفيهاً ، لأثرت لك مخازى لا يغسلها الماء .. فإن كنتُ ابن سُمَيَّة ، فأنت ابن حمامة<sup>(٢)</sup>» .

وراح زياد يقدر ويفكر ... ولكن !! وآه مما بعد لكن !! ولكن زياداً رأى بثاقب ذهنه ، وبعيد نظره أن الصراع العنيف الناشب بين «على» و «معاوية» لابد له من نهاية ، يتغلب فيها أحدهما على الآخر ، وأن كَيْفَةَ «معاوية» ترجح كَيْفَةَ «على» ، ورأى في الوقت نفسه أنه قد سار أمدماً بعيداً في إحفاظ «معاوية» بأخذه جانب «على» ، هذا إلى مضاضة كان يحسها في نفسه تجعله لا يسارع إلى «معاوية» إذا تم له الأمر ، فأولى له أن يحتاط لنفسه إذا ما وقع المحذور ، فيتحصن في مكانه الحريز ، وبين أظهر الفرس الذين غلدوا معجيين به أيما إعجاب ، ثم يفاوض «معاوية» وهو في حصنه ، ويساومه مساومة التدلُّد ، ولا ينزل إليه إلا على شروط يملها هو عليه .

وقد صدقت فِراسة «زياد» ، ولكن على نحو ما كان يخطر له ببال !  
ففى سنة ٤٠ هـ قتل أمير المؤمنين «على بن أبى طالب» ، وأصبح «زياد» و «معاوية» فى حقيقة الأمر وجهاً لوجه .  
وهنا نجد رجلين متعادين عداً غريباً ، كلاهما لم يتعمد جنابة على الآخر ، ومع ذلك فمسافة الخُلف بينهما شديدة البعد !

لقد انتقل زياد إلى القلعة وتحصن بها ومعهُ الأموال سنة ٤١ هـ .

انتظاراً للفرصة المواتية ، واللحظة الحاسمة !

◀ **تَأْتى الرياح بما لا يشتهي السفن !**

ولكن فِراسة زياد لم تصدق هذه المرة ، فسرعان ما نزل الحسن عن حقه فى

(١) زَمارة : جماعة تُزَمَّر .

(٢) أدب السياسة فى العصر الأموى للدكتور الحوفى .

الخلافة لمعاوية - حقناً للدماء - وقَدِم «معاوية» الكوفة لِيُنْهَى أمر العراق والمشرق جميعاً ، وخلا ما بين «زياد» و «معاوية» مرة أخرى ، يجاذب زياداً الحبل ، ولكن في غير تهديد ولا وعيد .

داهيتان يتصارعان كلاهما بعيد النظر واسع الحيلة ، عظيم الدهاء !  
غير أن معاوية - من غير شك - كان أستاذ فن الدهاء فهو أعظم الرجلين دهاءً ، وأوسعهما حيلة !

لقد كان معاوية بالطبع هو البادى بفتح باب المفاوضة والمراوضة !

### ◀ معاوية يكتب إلى زياد :

وهنا بدأ معاوية يستخدم حيلته ودهاءه :  
كتب إلى زياد يدعوه أن يقدم عليه لكي يحاسبه على ما في ذمته من أموال الدولة تاركاً له أن يقرر فيما بعد الإقامة عنده أو العودة إلى مكانه !

### ◀ فماذا فعل زياد ؟

لقد أصمَّ أذنه عن تلك الدعوة ، وكأن شيئاً لم يكن ؟ وهنا راح معاوية يجرب سياسة العنف بعد أن جرب سياسة اللين !  
اتصل بعامله على البصرة «بُسْر بن أرطاة» وأمره أن يأخذ الأكابر من أولاد زياد ويحبسهم .

كما أصدر أمره إلى عامله على الكوفة «المغيرة بن شعبة» بالتحرك نحو البصرة للاستيلاء على الأموال الخاصة بزياد وتعذيب «عبد الرحمن بن أبى بكرة» الذى يضع يده عليها إن هو امتنع من أداؤها .

### ترى هل لانت لزياد قناة ؟

يقول التاريخ : إن زياداً لم تلن له قناة أمام هذا الجد من معاوية ! وهَمَّ «بُسْر» بأن يقتل أبناء زياد فعلاً لولا أن تدخل في الأمر أخوه لأمه «أبو بكرة» على الرغم مما بينه وبين «زياد» من جفوة وقطيعة منذ تلك الشهادة التى شهد بها «زياد» في حادث «المغيرة» ، فأنقذته من إقامة الحد عليه !  
تدخل «أبو بكرة» في الأمر وشفع لدى «معاوية» في أبناء زياد فشفعه

فيهم<sup>(١)</sup> ، وكتب إلى «بُسْر» أن يخلى سبيلهم .

وتعقّد الموقف بين الداهيتين : «زياد» و «معاوية» ، واهتم معاوية لأمر زياد<sup>(٢)</sup> ، وضاق به ذرعاً ، وكادت «شَعْرُثُ» المشهورة تنقطع بينهما وقد تجاذباه !! لولا أن تداركها داهية ثالث هو «المغيرة بن شعبة» !! كما أشرنا إلى هذا الدور من قبل عند الكلام على دهاء المغيرة .

إن معاوية يثق بالمغيرة فهو عامله على الكوفة ، ولزياد عند المغيرة يد لا ينساها منذ درأ عنه الحد !

فماله لا يتطوع للسفارة بين الداهيتين ويّقى على «شجرة معاوية» سليمة متينة ؟!

قالوا : إنه دخل يوماً على «معاوية» وهو بالكوفة ، فقال معاوية حين وقع نظره عليه :

إِنَّمَا مَوْضِعُ سَرِّ الْمَرْءِ      إِنْ بَاحَ بِالسَّرِّ أَخُوهُ الْمُنْتَصَحُ  
فَإِذَا بُحِّتْ بِسَرٍّ فَأَلَى      نَاصِحٍ يَكْتُمُهُ أَوْ لَا تَبَحُ  
فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

إن تستودعني تستودع ناصحاً شقيقاً ، ورعاً وثيقاً ، فماذا لك ؟ قال : قد ذكرتُ زياداً واعتصامه بأرض فارس وامتناعه بها فلم أتم ليلتي !!

فأراد «المغيرة» أن يهون من شأن «زياد» فقال : ما زياد هناك<sup>(٣)</sup> !!  
فقال معاوية : داهية العرب ، معه الأموال ، مُتَحَصِّنٌ بَقْلَاعِ فَارِسٍ يدبر الحيل ، ويتربص !

ما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد على الحرب جذعة<sup>(٤)</sup> ؟!

قال المغيرة : أتأذن لي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ في إتيانه ؟

---

(١) قبل شفاعته .

(٢) أصابه الهم والحزن

(٣) للتهوين من أمره !

(٤) يقال : أعدت الأمر جذعاً : جديداً كما بدأ .

قال : نعم ؛ فَأَتِهِ وتَلَطَّفَ له !

فَأَتَى المغيرة زياداً ، وأعلمه بنزول «الحسن» عن الأمر ، وأن الأولي له أن يصل حبله بحبل معاوية ، ومازال به حتى جنح زياد إلى السلم ، وأخبره بأنه شاخص إلى معاوية !

وهنا راح زياد يهوى الأذهان في فارس ويحولها معه حيث يميل .  
وهنا يكمن الدهاء والخبرة بنفوس البشر ، وتجلى مواهب زياد .. تُرى ماذا فعل لتحقيق هذا التحول ؟!

### ■ خطبة زياد التمهيدية ■

لما بدأ زياد يجنح إلى معاوية<sup>(١)</sup> ، أراد أن يهوى الناس في فارس ليجنحوا معه ، فخطب فيهم خطبةً تدل على دهائه ، وخبرته بنفوس البشر !  
مَهَّدَ بها لتحوله في غير تصرّيح ولا كشف ، وقد وصفها هو نفسه في كتابه إلى معاوية بأنها :

« يعيا بها الخطيبُ المِذْرَه<sup>(٢)</sup> ، تركت من حَضَرَ ، لا أهل وِرْدٍ ولا صَدْرَ كالمُتَحِيرِينَ بِمَهْمِهِ ضَلَّ بِهِم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير » .  
وقد جاء فيها : « أيها الناس ، ادفَعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم ؛ فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم ، فوجدتهم كالأضاحي في كل عيد يُذبحون !

ولقد أفنى هذان اليومان : «يوم الجمل» و «صَفَيْن» ، ما يُثيف على مائة ألف ! كلهم يزعم أنه طالب حق ، وتابع إمام ، وعلى بصيرة من أمره ، فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة .

(١) كان والياً لعلُى على فارس ، ثم تولى لمعاوية على البصرة من سنة ٤٥ ، ثم علياً وعلى الكوفة سنة ٥١ بعد المغيرة بن شعبه .

(٢) المِذْرَه : زعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم والخاصم والسيد الشريف .

(٣) أهل الوزد : من يردون الماء . وأهل الصكدر : من يصدرون عن الماء بعد ورودهم عليه . وغيرهما قد ضل طريقه .

كلا .. ليس كذلك ، ولكن أشكل الأمر ، والتبس على القوم .  
وإني لخائف من أن يرجع الأمر كما بدأ ، فكيف لامرئ بسلامة دينه ؟!  
وقد نظرت في أمر الناس ، فوجدت أحمد العاقبتين العافية ، وسأعمل في  
أمرهم ما تحمدون عاقبته ومغبته ، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله .  
وعندئذ توجه زياد للقاء معاوية وهو مطمئن إلى من هم وراءه !  
فماذا كان عند ذاك اللقاء ؟!

### ◀ لقاء الداهيتين !

عندما قدم زياد على «معاوية» بدمشق سنة ٤٣ هـ رفع إليه حساب فارس ،  
فتلطف له معاوية ، وصدق كل ما قاله ، ثم أنزله الكوفة بناء على رغبته !  
لكن هل كان «معاوية» آنذاك مطمئن القلب من ناحية «زياد» ؟ وهل  
ركن إليه كل الركون ؟

يقول التاريخ : إن «معاوية» لم يركن إلى «زياد» كل الركون ، فقد كتب  
إلى «المغيرة بن شعبة» يأمره أن يأخذ «زياداً» ورعوس أصحاب علي بالكوفة  
كـ «حُجر بن عدى الكندى» و «عمرو بن الحمق» بحضور صلاة الجماعة ،  
فكانوا يصلونها معه .

### ◀ دهاء معاوية لا يقف عند حد !

ولقد كان «معاوية» أدهى من أن يقف في أمر زياد عند هذا الحد ، إنه يأمل  
فيما هو أبعد وأبعد !!

لقد أراد أن يستخلصه لنفسه ، ويجتذبه إلى جانبه جملة ! وبذلك يتيسر له  
الانتفاع بكفائته ومواهبه العظيمة ! ولكن كيف السبيل إلى ذلك قبل أن يحو ما  
كان يحسه زياد من المضاضة ؟!

لابد من أن يعلن على رعوس الأشهاد صحة ما كان يتهمس به الناس من نسبة  
زياد إلى أبي سفيان !

إن زياداً حتى ذلك الوقت لا يُعرف له أبٌّ على التعيين ، فبعضهم كان ينسبه  
إلى «عبيد» ، وهو عبد رومي كان للحارث بن كلدة ، وبعضهم كان ينسبه إلى

أبى سفيان ، وبعضهم كان ينسبه إلى أمه ، فيقول : «زياد بن سُمَيَّة» .  
وبعضهم يسميه «زياد بن أبيه» أياً كان ذلك الأب . إلا أن ذلك الغموض في  
النسب لم يلحق زياداً منه سبة ولا عار ، فقد بلغ أسنى المراتب ، وهذا مما يدل  
على سماحة السياسة في ذلك الزمان وسعة أفقها .

فما كان من معاوية إلا أن أخذ بإقرار أبى سفيان ، وبشهادة شهود شهدوا  
ببنوة زياد لأبى سفيان ، وأعلن في الآفاق أن «زياداً» . أخوه لأبيه .

ولقد أثار معاوية بعمله هذا دهشة الرأي العام ، وأمتعاض بنى أمية ، وسخط  
بعض رجال الفقه والحديث ، فقد رأوا فيما فعل مخالفة لقضاء الرسول - ﷺ -  
بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر !

وقد يكون معاوية نظر إلى أن هذه المسألة وقعت وقائعها الأصلية قبل الإسلام أبى  
سفيان وأن الإسلام حين جاء حكم بصحة أنساب الجاهلية الصادرة عن نظمهم  
في الزواج ، وإن لم يقر هذه النظم وعدّها سفاحاً .

لقد كان معاوية سياسياً راح يتوخى الصالح العام الذى كان يقضى باصطناع  
تلك الشخصية الفذة ، والانتفاع بها في إدارة الدولة ، وعندما فشلت القالة واشتد  
النكير عليه قام في الناس خطيباً فقال :

«أما والله لقد علمت العرب أبى كنت أعزها في الجاهلية وأن الإسلام لم يزدنى  
إلا عزاً ، وإنى لم أتكثر بزياد من ذلّة ، ولكن عرفت حقاً فوضعت موضعه» .

ويقول المؤرخون : إن يكن «معاوية» قد أظهر في هذه المسألة شيئاً ، فقد  
أظهر شجاعة أدبية نادرة المثال ، وسعة فكر لا يقاس بها ضيق فكر الخليفة المهدي  
العباسي الذى أمر في سنة ١٦٠ بإخراج آل زياد من ديوان قريش وردهم إلى  
ثقيف .

ويقولون أيضاً : إن زياداً لما قدم على معاوية جمع معاوية الناس ، وصعد على  
المنبر ، وأصعد معه زياداً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، إنى قد  
عرفت شهبنا أهل البيت في زياد ، فمن كانت عنده شهادة ، فليقم بها ، فقام  
الناس ، فشهدوا أنه ابن أبى سفيان ، وأقرّبه قبل موته !» .

ثم قام زياد ، وأنصت الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن

معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم ، ولست أدري حقّ هذا من باطله ، وهو والشهود أعلم بما قالوا . وإنما «عبيد» أب مبرور ، أو والد مشكور ، ثم نزل .

### ◀ الرجل المناسب في المكان المناسب :

سوف يظل عام ٤٤ هـ عاماً حاسماً في حياة زياد ، فقد أصبح أخاً للخليفة معاوية .

وسوف يظل عام ٤٥ هـ عاماً حاسماً في حياة معاوية فقد آن له أن يستريح من ناحية البصرة التي اختلت أمورها اختلالاً كبيراً ، وكثر في نواحيها عبث الخوارج ، والتلصص وقطاع الطرق ، وعجز كل من ولاهم معاوية أمرها عن إصلاح حالها ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى رجل حازم عليم بالسياسة والإدارة . وهنا رأى معاوية أن ينتفع بأخيه الجديد ومواهبه ، فليس هناك من هو أقدر منه على تحمل هذا العبء من زياد بن أبي سفيان !

لقد ولاه في سنة ٤٥ هـ على البصرة ، وخراسان ، وسجستان ثم جمع له الهند (نغر الأبلّة وما إليها) ، والبحرين وعمان .

فكيف تسنى لزياد أن يعيد المياه إلى مجاريها ويخمد الفتنة في مهدها ويعيد الأمن والطمأنينة إلى ربوع البلاد !!



## ❑ خطبة زياد بن أبي سفيان بالبصرة ❑ وهي الخطبة البتراء

قال أبو الحسن المدائني بسنده :

قدم زيادُ البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ ، وضم إليه خراسان ، وسجستان ، والفِسق بالبصرة كثير فاش وأموال الناس منتبهة ، فصعد المنبر ، فخطب خطبة « بتراء » لم يحمد الله فيها<sup>(١)</sup> ، وقال :

مقدمة يحدد فيها زياد معاصيهم :

« أما بعدُ ... فإن الجهالة الجاهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى<sup>(٢)</sup> الموفى<sup>(٣)</sup> بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتابَ الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب<sup>(٤)</sup> الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته<sup>(٥)</sup> ، في الزمن السرمدي<sup>(٦)</sup> الذي لا يزول . »

توبيخ !

أتكونون كمن طرُفت<sup>(٧)</sup> عينيه الدنيا ، وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسبقوا إليه ، من تركيكم الضعيف يُقهر ، ويؤخذ ماله ، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، والعدو غير قليل .

ألم يكن منكم نُهاة<sup>(٨)</sup> تمنع القُواة<sup>(٩)</sup> عن دَلَج الليل<sup>(١٠)</sup> وغارة النهار ؟ قَرَبتم القربة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر وتُعْضُونَ على المختلس . كل امرئ منكم يَذُبُّ<sup>(١١)</sup> عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً<sup>(١٢)</sup> .

- |                                                                                |                                |                        |
|--------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------|------------------------|
| (١) البيان والحين للجاحظ .                                                     | (٣) المولى : المشرف .          | (٥) المعصية : الزلة .  |
| (٢) العمى : الضلال .                                                           | (٤) الجزاء على أعمال الخير     | (٦) الأزل الأبدي .     |
| (٧) طرُفت عينه الدنيا : طمعت عيناه إلى الدنيا وزخرفها ، فشغلها بها عن الآخرة . |                                |                        |
| (٨) النُهاة : الزاجرون المانعون .                                              | (١٠) دَلَج الليل : السير فيه . | (١٢) المعاد : الآخرة . |
| (٩) القُواة : الظالمين .                                                       | (١١) يذب : يدافع .             |                        |

ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يَزَلْ بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حَرَمَ الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً<sup>(١)</sup> في مكانس الرِّيب .

### ◀ إعلان العقوبات التي أحدثها لذنوبهم :

حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً !!  
إني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوْلُه ، لئن في غير ضُعف ،  
وشدة في غير عُنف !

### ◀ من مظاهر ظلمه :

وإني أقسم بالله لآخِذَنَ الوليَّ بالمولى<sup>(٢)</sup> ، والمقيم بالطاعن<sup>(٣)</sup> ، والمُقْبِلَ بالمدير ،  
والمطيع بالعاصي ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول :  
« أنجُ سَعْدُ فقد هلك سعيد » أو تستقيم لي قناتكم<sup>(٤)</sup> .

### ◀ استطراد بتأكيد العزم :

إن كذبة الأمير بقاء مشهورة ، فإذا تعلقتُم على بكذبة فقد حَلَّتْ لكم  
معصيتي .

فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في . واعلموا أن عندي أمثالها .  
من يُقَبِّ منكم عليه ، فأنا ضامن لما ذهب منه . فَإِيَّايَ ودَلَجَ الليل ؛ فَإِنِّي لَا  
أوتى بِمُدْلِجٍ<sup>(٥)</sup> إلا سفكت دمه .  
وقد أَجَلَّتْكم في ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ، ويرجع إليكم . وإيأي

(١) الكنوس : المختبئون . المكانس : الملاجم ، وتكون للوحوش تخفى فيها . الرِّيب : التهم . جمع رية . أى مختبئون في مخافى المعصية والفساد .

(٢) الولي : السيد . المولى : العبد .

(٣) الطاعن : المسافر .

(٤) أو ناصبة لأنها أتت بمعنى إلى أن . وأصل المثل : أن سعداً وسعيداً ابني ضَبَّة خرجا يطلبان إبلهما فراجع سعد ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة إذا رأى سواداً بالليل قال : سعد أم سعيد ؟

(٥) بقاء : أى واضحة ظاهرة من البلق وهو سواد وياض .

(٦) مدج : سائر بليل .

ودعوى الجاهلية<sup>(١)</sup> ؛ فإنى لا أجد أحداً دعاها إلا قطعْتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فمن غرّق قوماً غرّقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نَقَب عن بيت نقَبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفنناه فيه حياً<sup>(٢)</sup> ! فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفّف عنكم يدى ولسانى .

ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .

### ◀ إِيْها مَهم بالعدل واللين :

وقد كان بينى وبين أقوام لإحن<sup>(٣)</sup> ، فجعلت ذلك دَبر<sup>(٤)</sup> أذنى ، وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته .  
إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك<sup>(٥)</sup> له سترأ ، حتى ييدى لى صفحته<sup>(٦)</sup> ، فإذا فعل ذلك لم أناظره .  
فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدمونا سيُسّر ، ومسرور بقدمونا سيبتئس .

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، وندود عنكم بفىء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم العدل فيما ولىنا ، فاستوجبوا عدلنا ، وفتقنا بمناصحتكم لنا .  
واعلموا أنى مهما قصرت عنه ، فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ، ولو أتانى طارقاً ليليل ، ولا حابساً عطاء ، ولا رزقاً عن إبانته ، ولا مجمرأ لكم بعثاً<sup>(٧)</sup> .

(١) دعوى الجاهلية : دعوى العصية والنزق ، والتعصب الأعمى للقبيلة ، والانحياز للقريب دون رعاية للصالح العام .

(٢) وصدق فيه قول الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم !

(٣) الإحن : الأحقاد .

(٤) دَبر : خلف .

(٥) أهتك : أشق .

(٦) ييدى لى صفحته : يكاشفى

(٧) يقال : جَمَرَ الجيش : جمعهم فى الثغور ، وجسهم عن العودة إلى أهليهم .

## ◀ تحذير :

وايم الله إن فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى » .

## ◀ تعليق السامعين على الخطبة :

( أ ) فقام عبد الله بن الأهمم ، فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقال له : كذبت ، ذاك نبي الله داود - عليه السلام - .

(ب) وقام إليه الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإننا لا نثنى حتى نبتلى ، ولا نحمد حتى نُعطى .

فقال زياد : صدقت .

(ج) فقام أبو بلال يهمس وهو يقول : أنبأنا الله - جلَّ وعَزَّ - بغير ما قلت : قال الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يُرى . ثم يُجزاه الجزاء الأولي ﴿

[ النجم : ٣٧ - ٤١ ]

وأنت تزعم أنك تأخذ الصحيح بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمذير !! فسمعها زياد ، فقال : إنا لا نبلي ما نريد بأصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً<sup>(١)</sup> .

وفي الخطبة كما ترى - اجترأ على عقوبات لم يسنها الدين ، وترفع على المحكومين !

## ◀ القول والفعل :

لقد أعلن زياد عزمه على هدم المواخير ودور الفساد .. ونهى عن دج الليل نهياً باتاً ضرباً على أيدي المتلصصة وقطاع الطرق من الأعراب . ونهى عن دعوى الجاهلية منعاً لتعصب القبائل بعضها على بعض .

---

(١) أى أنه لن يتمكن من إحلال النظام ، واستباب الأمن إلا عن طريق العنف والشدة ، ولو خالف كل مألوف ، وجاوز حد الشرع .

وأعلن تضامن الناس في حفظ النظام  
إلا أن زياداً وإن كان شدد الوطأة على أصحاب الريب والفساد فإنه سكن  
خواطر الصلحاء وجهد في استمالة المنحرفين عنه ، ثم بين لهم حرصه على  
مصلحتهم .

وكان زياد عند قوله ، فما تعلق عليه أحد بكذبة ، ولقد أنفذ وعيده هذا في  
حالات تعد على أصابع اليد الواحدة بقصد الإرهاب لا حياً في سفك الدماء ،  
فاستقامت أمور البصرة ؛ ولما تم له ذلك تكلف ضبط الأمر في نواحيها فاستكفى  
كل قبيلة من فيها من الخوارج ، فكسر بذلك شيرة تلك الفرقة العاتية ، وعم الأمر  
أطراف البصرة ونواحيها حتى قال زياد : « لو فقد جبل بيني وبين خراسان  
لعرفت من أخذه ! »

ولقد بلغ من ضبط زياد البصرة وأعمالها أنه لما توفي المغيرة بن شعبة سنة  
٥٠ هـ لم يتردد معاوية في ضم إمارة الكوفة وأعمالها إلى زياد .

### ◀ الكوفة بعد البصرة !

كان الخطر بالبصرة آتياً من قبل أهل الريب والفساد والخوارج وتعصب  
القبائل .

ولكنه بالكوفة آت من قبل الشيعة الذين كانوا لا يعترفون بسلطان معاوية ،  
ووجدوا في « لعن علي » على منابرهم فرصة لإعلان معارضتهم وسخطهم ،  
فكانوا يقابلون ذلك بلعن معاوية وعماله ، والترحم على أبي تراب .

ولقد رأى معاوية فيهم خطراً يهدد حكمه ، فأمر المغيرة بن شعبة بمراقبتهم أثناء  
فترة ولايته وفي أخريات عهده .

لكن المغيرة بن شعبة - في أخريات حياته - كان قد أثر الرفق واللين وحب  
السلامة والعافية ، فكان يكتفى من الشيعة بالإخلاد إلى السكون ، وعدم مخالفة  
الجماعة ، وليقولوا بعد ذلك ما شاءوا !! فلما أسندت ولاية الكوفة إلى زياد بعد  
وفاة المغيرة قدمها وشدد القبض على رؤساء الشيعة : حجر بن عدى وأصحابه  
على الرغم من الصداقة القديمة التي كانت تربطه بهم ، ولكن الصداقة شيء ،  
وأداء الواجب الحكومي شيء آخر .

ولما أحس منهم المقاومة لسلطانهم ، والمجاهرة بلعن معاوية وعماله والترحم على  
على قبض على حُجْر بن عدى وبضعة عشر رجلاً كانوا زعماءهم وحصل على  
شهادة بإدانتهم وأنهم قد خالفوا الجماعة ، وشقوا عصا الطاعة ، ثم بعث بهم إلى  
معاوية !، ويضيق حلم معاوية فيأمر بقتل ستة منهم فيهم حُجْر بن عدى بمرج  
عذراء بظاهر دمشق سنة ٥١ هـ .

## □ زيادٌ يخضع الكوفة أيضاً ! □

قال الشعبي : قدم زياد الكوفة ، فدنوت من المنبر لأسمع كلامه ، فلم أر  
أحدًا يتكلم فيحسن إلا تمنيت أن يسكت مخافة أن يُسَيء غير زياد ؛ فإنه كان لا  
يزداد إكثاراً إلا ازداد إحساناً ، فقال بعد أن حمد الله :  
« إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة ، فأردت أن أخرج إليكم في ألفين من  
شُرَطها ، ثم ذكرت أنكم أهل حق . وأن الحق طالما دفع الباطل . فخرجت  
إليكم أهل بيتي .

فالحمد لله الذي رفع مِنّا ما وضع الناس ، وحفظ مِنّا ما ضيعوا .  
أيها الناس ، إنا سُئنا ، وسامنا السائسون ، وجربنا وجربنا المجربون ،  
فوجدنا هذا الأمر لا يُصلحه إلا شدة من غير عنف ، ولين في غير ضعف !  
فلا أعلَمَنَّ أنا أغلقنا باباً ففتحتموه ، ولا حللنا عقداً فشددتموه . وإلى لا  
أعدكم خيراً ولا شراً إلا وقَّيْتُ به . فإذا تعلقتم لي بكذبة فلا ولاية لي عليكم .  
وإني آمركم بما أمر به نفسي وأهلي ، فمن حال دون أمرى ، ضربت عنقه !  
ألا وإني لا أهلك لأحد منكم سيئراً ، ولا أطلع من وراء باب ، ولا أقبل  
أحدًا منكم عثرة !

قال : فحصبوه من كل جانب ، فجلس على المنبر حتى سكتوا ، وأمسكوا ثم  
نادى الشُّرَط ، فأخذوا بآبواب المسجد ، وألقى كرسياً على بعض الأبواب ثم  
عرض الناس أربعة أربعة يستحلفهم ، فمن حلف أنه لم يَحْصِيْهِ تركه ، ومن أوى  
حبسه .

قال : فقطع يومئذ أيدي ثمانين إنساناً ممن لم يحلف .  
قال الحسن البصري : أوعد عمر بن الخطاب فعوفى . وأوعد زياد فابتلى .  
وقال أيضاً : تشبه زياد بعمر فأفرط ! وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس !  
الهدوء !!

وهدأت أحوال الكوفة إلى حد أن استطاع زياد أن يكتب إلى معاوية يقول :  
«إني قد ضببت العراق بشمالى ، ويمينى فارغة !» .  
يعرض برغبته في أن تضم إليه الإمامة لا الحجاز ، كما جاء في بعض الروايات .  
فضم إليه الإمامة وما إليها .  
ولم تطل حياة زياد بعد هذا فقد أصابه الفالج ، وتوفى في رمضان عام ٥٣ هـ ،  
ودفن بظاهر الكوفة .

ومازال الناس يتحدثون عن زياد العصامى الذى يصدق فيه قول القائل :  
نفس عصام سؤدت عصاماً وعلمته الكرّ والإقداما  
ولا ينسى الناس أبداً رفقاء الدهاء : «معاوية» و «عمرو بن العاص»  
و «المغيرة بن شعبة» كلما ذكروا «زياداً» .

والحمد لله أولاً وأخيراً ..



## تيسر

جاء في «حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة» :

اختار في مشاجرة الأصحاب والصحبايات :

ألا يخاض فيها ، ويُحسن الظن بهم وبهن ، ولا يسلك مسلك الخوارج والروافض في السب والشتم ، وجحد الفضائل ، وإنكار القواضل ، فإن ذلك من عمل الشيطان ، وقد أضل جيلاً كثيراً من هذه الأمة ، وذهب بهم إلى الفوارة !

عصمنا الله - تعالى -

## أهم الأحداث التاريخية

| أهم الأحداث                    | التاريخ الهجري<br>سنة | التاريخ الميلادي<br>سنة |
|--------------------------------|-----------------------|-------------------------|
| موت النبي - ﷺ - وخلافة أبي بكر | ١٢                    | ٦٣٢                     |
| خلافة عمر بن الخطاب            | ١٣                    | ٦٣٤                     |
| وقعة القادسية                  | ١٤                    | ٦٣٥                     |
| فتح بيت المقدس                 | ١٤                    | ٦٣٥                     |
| تأسيس البصرة                   | ١٤                    | ٦٣٥                     |
| فتح دمشق                       | ١٤                    | ٦٣٥                     |
| تأسيس الكوفة                   | ١٧                    | ٦٣٨                     |
| فتح الشام والعراق              | ١٧                    | ٦٣٨                     |
| فتح مصر                        | ٢٠                    | ٦٤٠                     |
| وقعة نهاوند وفتح فارس          | ٢١                    | ٦٤١                     |
| خلافة عثمان                    | ٢٣                    | ٦٤٣                     |
| خلافة علي                      | ٣٥                    | ٦٥٥                     |
| وقعة الجمل                     | ٣٦                    | ٦٥٦                     |
| موت علي                        | ٤٠                    | ٦٦٠                     |
| خلافة معاوية بن أبي سفيان      | ٤١                    | ٦٦١                     |
| موت الحسن بن علي               | ٤١                    | ٦٦١                     |
| خلافة يزيد بن معاوية           | ٦٠                    | ٦٧٩                     |